الإمام الشّافعيّ شاعرا.

Imam Ash-Shâfi'î as a poet

الدكتور: تشيش عمر

قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أمين العقال الحاج موسى آق أخاموك، تمنراست (الجزائر)
tchiche.omar@cu-tamanrasset.dz

تاريخ الإيداع: 2020/10/29 تاريخ القبول: 2021/03/02 تاريخ النشر: 2021/03/15

- **ملخص:**

يُعَدُّ الإمام الشّافعيّ (150-204هـ) أحد الأئمّة الأربعة الذين ارتضى المسلمون مذاهبهم، وواحدا من العلماء الجهابذة الذين خدموا الإسلام بعلمهم ودعوتهم، شهد له بالفضل شيوخه وأقرانه وتلامذته، ومازالت سيرته وفقهه محلّ دراسة إلى يومنا هذا.

وإذا كان صيته العلميّ قد ذاع في الأمصار والأصقاع، ولهجتِ الألسنُ بالثّناء عليه في شتّى البقاع، فإنّ الشُّهرة الأدبيّة للشّافعيّ لا تقلّ عن شهرته العلميّة، فما من محبّ للأدب العربيّ إلّا ويحفظ شيئا من شعره، يتغنّى به ويرويه روايته للأمثال والحِكَم.

وعلى الرّغم من أنّ شعر الشّافعيّ مخدوم مِن حيث كثرةُ مَن جمع ديوانه، فإنّه لم يُوَفَّ حقّه من الدّراسة والنّقد والتّحليل، وهو ما دفعنا إلى اختياره موضوعا لهذا البحث.

الكلمات المفتاحية: الشّافعيّ؛ ديوان ؛ شعر؛ مضامين؛ خصائص.

Abstract:

Imam Ash-Shâfi'î (150-204) Hijri era is one of the four Imams whose doctrines were adopted by Muslims, and one of the most talented Ulama (scholars) who served the Islam, thanks to their knowledge and their proselytism. The Imam was recognized by his Teachers, his peers and his disciples, and his biography is still the subject of numerous studies to this day.

And if his scientific fame spread through faraway lands, and languages sang his praises across the world, his literary fame was none the

less made, since all lovers of Arabic literature and poetry knew by heart his poems and recited them as proverbs and quotes.

Although, Ash-Shâfi'î 's poems have often aroused interest, particularly during the constitution of his poetry book, they have not been filled with the time that should have been attributed to their study, criticism and analysis and that is why we were tempted to choose this subject for our research.

Keywords: Ash-Shâfi'î-; Diwan; poetry, contents; characteristics.

مقدّمة:

الإمام الشّافعيّ (150-204هـ) هو ثالث الأئمّة الأربعة عند المسلمين، سيرته مبثوثة في كتب التّراجم والرّجال، بل قد خُصّ –رحمه الله- بمصنّفات مفردة عُنِيَت بترجمته وذكر آدابه ومناقبه[1].

ورغم كثرة جامعي ديوان الشّافعيّ، فإنّه –في نظرنا- لم يُوَفَّ حقّه من الدّراسة والنّقد والتّحليل، وهو ما دفعنا إلى اختياره موضوعا لهذا البحث، مُنطلقِين من إشكاليّة تتفرّع إلى سؤالَيْن اثنَيْن: ما الأغراض الشّعريّة التي تضمّنها ديوان الشّافعيّ؟ وما الخصائص الفنّيّة المميّزة لشعره؟

وقد أجبنا على هذين السّؤالين في مبحثين، فضلا عن مقدّمة وخاتمة؛ فأمّا المبحث الأوّل فتناولنا فيه مضامين ديوان الشّافعيّ، وأمّا المبحث الثّاني فدرسنا فيه الخصائص الفنّيّة المميّزة لشعره؛ ناهجِين في ذلك منهجا وصفيّا تحليليّا.

المبحث الأوّل: مضامين ديوان الشّافعيّ.

سنتناول في هذا المبحث الأغراض الشّعريّة والمضامين التي قال فيها الإمام الشّافعيّ شعره، وقد قسّمناه مطالب ثلاثة: أوّلها للحكمة والشّعر التّربويّ، وثانيها للأغراض الدّينيّة كالزّهد والمناجاة، وفي الثّالث تطرّقنا للأغراض التّقليديّة، من فخر ومدح ونحوهما.

المطلب الأوّل: الحكمة والشّعر التّربويّ الأخلاقي.

إنّ المطّلع على ديوان الشّافعيّ -رحمه اللّه- يتّضح له جليّا أنّه يطغى على شعره طابع الحكمة، والتّوجيه التّربويّ الهادف إلى نشر الأخلاق الفاضلة بين النّاس؛ وفيما يلي حديث عنهما:

أوّلا: الحكمة.

الحكمة في الشّعر هي تلخيص الفكر العميق باللّفظ الدّقيق في دلالته على المعنى، أو هي بعبارة أخرى: تضمين الأبيات القليلة معانيَ جليلة، وهي -في غالب الأحيان- لا تصدر إلّا عن عُقلاء المجرّبين المتبصّرين بعواقب الأمور[2].

والشّافعيّ –رحمه اللّه- واحد من الفقهاء الحكماء الذين خَبَروا الحياة، وكانت لهم فيها تجارب كثيرة؛ مهّدت لها نشأة علميّة بين ظهرانَيْ أهل العلم والأدب، وصقلتها كثرة التّرحال ومخالطة أناس مختلفي الطّبائع والعادات، فضلا عن نبوغٍ فطريّ، وذكاء حادّ أهّله لأن يتدبّر الحياة، ويدرك حقيقتها، مستخلصا العِبَر العامّة من المواقف الخاصّة.

وترتدي الحكمة عند الشّافعيّ في كثير من الأحيان ثياب النّصح والإرشاد، صاغها في قوالب لفظيّة سهلة واضحة، قريبة إلى أفهام عامّة النّاس، حرصا منه على فاعليّة النّصح، وعموم أثره، كما في قوله من إحدى قصائده التي ينعى فيها الشّيب، ويبيّن حقيقة الدّنيا، مقدّما بعض الحكم التي استخلصها من تجاربه الشّخصيّة[3]:

وَأَحْسِنْ إِلَى الأَحْرارِ تَمْلِكْ رِقَابَهُمُ ... فَخَيْرُ تِجَارَاتِ الكِرَامِ اكْتِسَابُهَا

وَلَا تَمْشِيَنَّ فِي مَنْكِبِ الأَرْضِ فَاخِرًا ... فَعَمَّا قَلِيلٍ يَحْتَوِيكَ تُرَابُهَا

وَمَنْ يَذُق الدُّنْيَا فَإِنِّي طَعِمْتُهَا ... وَسِيقَ إِلَيْنَا عَذْبُهَا وَعَذَابُهَا

فَلَمْ أَرَهَا إِلاَّ غُرُورًا وَبَاطِلًا ... كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الفَلَاةِ سَرَابُهَا

وَمَا هِيَ إِلَّا جِيفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ . .. عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهُنَّ اجْتِذَابُهَا

فَإِنْ تَجْتَنِبْهَا كُنْتَ سِلْمًا لِأَهْلِهَا ... وَإِنْ تَجْتَذِبْهَا نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا

ونلحظ أنّ الشّافعيّ متأثّر في حِكَمِه بتعاليم الدّين الإسلاميّ، يقتبس من نصوصه المحكمة معاني جليلة؛ كما في قوله: «ولا تمشينّ في مَنكِب الأرض فاخرا»، فكأنّه اقتبس المعنى من الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[4]. ونجده في قوله مخبرا عن حقيقة الدّنيا: «فلم أرها إلاّ غرورا وباطلا»، يتناصّ مع قوله تعالى: ﴿...وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[5].

والشّافعيّ -رحمه الله- واسع العلم، لم ينحصر علمه في معرفة علوم الشّرع فحسب، بل هو خبير ببعض العلوم الدّنيويّة كالطّبّ مثلا، ونقف له في الدّيوان على بيتين تضمّنا حكمة طبّيّة نفيسة؛ يقول فيهما[6]:

ثَلَاثٌ هُنَّ مُهْلِكَةُ الأَنَامِ ... وَدَاعِيَةُ الصَّحِيحِ إِلَى السِّقَامِ

دَوَامُ مُدَامَةٍ، وَدَوَامُ وَطْءٍ ... وَإِدْخَالُ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ

وهو في هذا المعنى لا يكاد يخرج عن قوله تعالى: ﴿...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[7]، فالمسلم منهيّ عن الإسراف في مأكله ومشربه وأمره كلّه.

ولقد حنّكت التّجارب أبا عبدالله، وأفاد من رحلاته وأسفاره كثيرا، فلخّص لنا فوائد السّفر قائلا[8]:

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِي طَلَبِ العُلَا ... وَسَافِرْ، فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ

تَفَرُّجُ هَمٍّ، وَاكْتِسَابُ مَعِيشَةٍ ... وَعِلْمٌ، وآدَابٌ، وَصُحْبَةُ مَاجِدِ

وهذان البيتان -كما ترى- سَلِسَان، مفهومان، لا غموض فيهما؛ لغتهما أقرب إلى النّثر منها إلى الشّعر، فلا لفظ مستوحش، ولا معنى مستغرب، وهذه بعض مميّزات شعر الحكمة.

ثانيا: الشّعر التّربويّ الأخلاقيّ.

الشّافعيّ واحد من الشّعراء الحكماء الذين نلمس في شعرهم نزعة تربويّة هادفة، فهو يُذَكِّر النّاس بالخير ويحثّهم عليه، ويبيّن لهم الشّرّ وينهاهم عنه.

والجوانب التّربويّة عنده لا تقتصر على الجانب السّلوكيّ الأخلاقيّ فحسب، بل تبدأ بالجانب الرّوحيّ العقديّ، لأنّ الظّاهر يَصْلُحُ بصَلاح الباطن، ويتجلّى هذا في قصيدة "دع الأيّام تفعل ما تشاء"، التي هي واحدة من أبرز القصائد المنسوبة إلى الشّافعيّ، ولعلّها أطولها على الإطلاق، وفيها يقول[9]:

دَعِ الأَيَّامَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ ... وَطِبْ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ القَضَاءُ
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي ... فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ
وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الأَهْوَالِ جَلْدًا ... وَشِيمَتُكَ السَّمَاحَةُ وَالوَفَاءُ
وَإِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي البَرَايَا ... وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ
تَسَتَّرْ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ ... يُغَطِّيهِ كَمَا قِيلَ السَّخَاءُ
وَلَا تُرِ لِلْأَعَادِي قَطُّ ذُلاً ... فَإِنَّ شَمَاتَةَ الأَعْدَاءِ بَلَاءُ
وَلَا تَرْجُ السَّمَاحَةَ مِنْ بَخِيلٍ ... فَمَا فِي النَّارِ لِلظَّمْآنِ مَاءُ
وَرِزْقُكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَّأَنِّي ... وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ العَنَاءُ
وَلَا حُزْنٌ يَدُومُ وَلَا سُرُورٌ ... وَلَا بُؤْسٌ عَلَيْكَ وَلَا رَخَاءُ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ ... فَأَنْتَ وَمَالِكُ الدُّنْيَا سَوَاءُ
وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ المَنَايَا ... فَلَا أَرْضٌ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءُ
وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ وَلَكِنْ ... إِذَا نَزَلَ القَضَا ضَاقَ الفَضَاءُ
دَعِ الأَيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِينٍ ... فَمَا يُغْنِي عَنِ المَوْتُ الدَّوَاءُ

ففي هذه القصيدة يدعو الشّافعيّ المسلمَ إلى تقبّل أحكام الله عليه، لأنّ الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان السّتّة، وعليه أن يكون صبورا في مواجهة شدائد الحياة ومحنها، فهي زائلة ودوام الحال من المحال.

والملاحظ على هذه القصيدة أنّ الشّافعيّ ابتدأها بجانب القضاء والقدر، وهو باب عظيم من أبواب العقيدة، ثمّ تدرّج في الوعظ والنّصح، وبيان خصال المروءة الكريمة التي يحسن بالرّجل أن يتّصف بها؛ ومن ذلك الجود والسّخاء، والصّبر، وعزّة النّفس، والقناعة برزق الله.

وإذا اطّلعت على ديوان الشّافعيّ، ألفيت فيه فضائل أخرى حثّ شاعرنا على التّمسّك بها، ومن ذلك فضيلة الصّمت وحفظ اللّسان، فتأمّل هذه النّتفة البليغة، التي يشبّه فيها اللّسان بالثّعبان[10]:

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ ... لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ

كَمْ فِي المَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ ... كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الأَقْرَانُ

فاللّسان أمره عظيم، وما في الجسد جارحة أخطر على صاحبها منه، وهو سلاح ذو حدّين، على الإنسان أن يحسن استعماله.

والشّعر التّربويّ عند ابن إدريس لا يقوم على بيان المحامد والحثّ عليها فقط، بل يبيّن كذلك بعض مرذول الأخلاق التي ينبغي الحرص على تجنّبها، ومن ذلك الزّنى، إذ يحذّرنا منه حاضّا على العفّة، قائلا[11]:

عِفُّوا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ فِي المَحْرَمِ ... وَتَجَنَّبُوا مَا لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمِ

إِنَّ الزِّنَى دَيْنٌ فَإِنْ أَقْرَضْتَهُ ... كَانَ الوَفَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمِ

يَا هَاتِكًا حُرَمَ الرِّجَالِ وَقَاطِعًا ... سُبُلَ المَوَدَّةِ عِشْتَ غَيْرَ مُكَرَّمِ

لَوْ كُنْتَ حُرًّا مِنْ سُلَالَةِ مَاجِدٍ ... مَا كُنْتَ هَتَّاكًا لِحُرْمَةِ مُسْلِمِ

مَنْ يَزْنِ، يُزْنَ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ ... إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا لَبِيبًا فَافْهَمِ

ولمّا كان الإنسان ابن مجتمعه، يعيش مع النّاس، ولا بدّ له من مخالطتهم، فإنّه قد يطّلع منهم على بعض العيوب، ولأجل هذا ينبّهه الشّافعيّ إلى عدم تتبّع عورات النّاس، حتّى لا تُتَّبَع عورته، بل عليه أن يحرص على معاشرة النّاس بالمعروف، وبخلق حسن. فيقول[12]:

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الرَّدَى ... وَدِينُكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنُ

فَلَا يَنْطِقَنْ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسَوْأَةٍ ... فَكُلُّكَ سَوْءَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ

وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبْدَتْ إِلَيْكَ مَعَائِبًا ... فَدَعْهَا، وَقُلْ يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ

وَعَاشِرِ بِمَعْرُوفٍ، وَسَامِحْ مَنِ اعْتَدَى ... وَدَافِعْ وَلَكِنْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

المطلب الثّاني: الأغراض الدّينيّة.

ليس بغريب أن نجد في شعر الشّافعيّ ما هو ذو طابع دينيّ، كالزّهد ومناجاة اللّه السّميع البصير؛ فالشّافعيّ عالم ورع زاهد في الدّنيا وزينتها وزخارفها، عابد للّه، مُقبل على الدّار الآخرة.

أوّلا: المناجاة.

غالبا ما يبرز شعر المناجاة على لسان الزّهّاد، والحكماء، والفقهاء الشّعراء، إذ يتّخذون من الشّعر وسيلة يلهجون عبرها بذكر اللّه والثّناء عليه بما هو أهلٌ له، وتسبيحه وإجلاله، والاعترافِ بتقصيرهم في حقّه واجترائهم عليه بالمعاصي والذّنوب، ومن ثَمَّ يتضرّعون إليه بالاستغفار والتّوبة، ويرجونه بالدّعاء، ويسألونه حوائجهم، فهو الكريم المستحقّ للتّذلّل بين يديه.

ومن هؤلاء المناجين ربَّهم محمّد بن إدريس الشّافعيّ، الذي تعلّق قلبه بإلهه، فهو دائم الذّكر له والضّراعة إليه، يبوء بنعمة الله وفضله عليه، ويبوء بذنبه منيبا تائبا، وفي ذلك يقول[13]:

قَلْبِي بِرَحْمَتِكَ اللَّهُمَّ ذُو أُنْسِ ... فِي السِّرِّ وَالجَهْرِ وَالإِصْبَاحِ وَالغَلَسِ
وَمَا تَقَلَّبْتُ مِنْ نَوْمِي وَفِي سِنَتِي ... إِلَّا وَذِكْرُكَ بَيْنَ النَّفسِ وَالنَّفَسِ
لَقَدْ مَنَنْتَ عَلَى قَلْبِي بِمَعْرِفَةٍ ... بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ ذُو الآلَاءِ وَالقُدُسِ
وَقَدْ أَتَيْتُ ذُنُوبًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا ... وَلَمْ تَكُنْ فَاضِحِي فِيهَا بِفِعْلِ مُسِي
فَامْنُنْ عَلَيَّ بِذِكْرِ الصَّالحينَ وَلَا ... تَجْعَلْ عَلَيَّ إِذًا فِي الدِّينِ مِنْ لَبَسِ
وَكُنْ مَعِي طُولَ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي ... وَيَوْمَ حَشْرِي بِمَا أَنْزَلْتَ فِي عَبَسِ

ويناجي الشّافعيّ الله بأسلوب متأدّب، متذلّلا إليه، راجيا أن يكون من عباده المقرّبين، ومن أوليائه الذين يحبّونه ويحبّهم، فتلك غاية أمنيّته، التي تنسيه جميع المصائب، فيقول[14]:

أَنْتَ حَسْبِي، وَفِيكَ لِلْقَلْبِ حَسْبُ ... وَلِحَسْبِي إِنْ صَحَّ لِي فِيكَ حَسْبُ
لَا أُبَالِي مَتَى وِدَادُكَ صَحّ لِي ... مِنَ الدَّهْرِ مَا تَعَرَّضَ خَطْبُ

ونجد الشّافعيّ وهو في مرض موته، وهو أصعب وقت في حياة الإنسان، يلجأ إلى الله مناجيا، معترفا بذنوبه، طامعا في عفوه، فهذا المُزنيّ يدخل عليه في علّته التي مات فيها، فيسأله عن حاله، فيجيب: «أصبحت من الدّنيا راحلا، ولإخواني مفارقا، ولكأس المنيّة شاربا، ولسوء أعمالي ملاقيا، وعلى الله واردا، فلا أدري؛ روحي تصير إلى الجنّة فأهنّئها، أم إلى النّار فأعزّيها»، ثمّ يبكي ويقول:

فَلَمَّا قَسَى قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي، كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكَرُّما
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَصْمُدْ لِإِبْلِيسَ عَابِدٌ ... فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيَّكَ آدَمَا[15]

ونلحظ أنّ المعاني التي يدور حولها شعر المناجاة عند الشّافعيّ، هي المعاني التّعبّديّة المعروفة في هذا الغرض، من شكر اللّه والثّناء عليه، والاعتراف بالذّنب، والاستغفار والدّعاء.

ثانيا: الزّهد.

لعلّ من أحسن ما قيل في تعريف الزّهد، قَولُ شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي عرّفه بأنّه ترك ما لا ينفع في الآخرة، وقَرَنَهُ بالورع الذي هو عنده ترك المرء ما يخاف ضرره في الآخرة[16].

وعلى الرّغم من أنّ الشّافعيّ –رحمه الله- ليس معدودا مِن الشّعراء الذين وَقَفُوا شِعرَهم على الزّهد، فإنّ ديوانه طافح بالمقطوعات الزّهديّة، التي تُرغّب في الإقبال على اللّه وعبادته، والعمل للآخرة التي هي دار الخلود، والتّخفّف من هذه الدّنيا الفانية الزّائلِ متاعُها.

وممّا قاله في التّحذير من الدّنيا وفتنها، ومَدْحِ مَن زَهِدَ فيها بالفطنة[17]:

إِنَّ للهِ عِبَادًا فُطُنا ... تَرَكُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الفِتَنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا ... أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا ... صَالِحَ الأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنا

ويقول مبيّنا زوال الدّنيا وأنّ الإنسان فيها مسافر إلى دار القرار، حاثّا على عدم تعلّق القلب بها، لينال العبد لذّات الآخرة الدّائمة[18]:

يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا ... يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سَفَّارا
هَلَّا تَرَكْتَ لِذِي الدُّنْيَا مُعَانَقَةً ... حَتَّى تُعَانِقَ فِي الفِرْدَوْسِ أَبْكَارا
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جِنَانَ الخُلْدِ تَسْكُنُهَا ... فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تَأْمَنَ النَّارا

والشّافعيّ مؤمن بالله، قد اطمأنّت نفسه لقضائه وقدره، وعلم أنّ رزقه بيد الرّزّاق، فهو يعيش مرتاح البال، متوكّلا على الله، يدلّنا على ذلك قوله[19]:

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللهِ خَالِقِي ... وَأَيْقَنْتُ أَنَّ اللهَ لَا شَكَّ رَازِقِي
وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقِي فَلَيْسَ يَفُوتُنِي ... وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ البِحَارِ العَوَامِقِ
سَيَأْتِي بِهِ اللهُ العَظِيمُ بِفَضْلِهِ ... وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي اللِّسَانُ بِنَاطِقِ
فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذْهَبُ النَّفْسُ حَسْرَةً ... وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الخَلَائِقِ

ويقول معبّرا عن عزّة نفسه، وقنوعه برزقه، متعفّفا عن سؤال النّاس[20]:

قَنَعْتُ بِالقُوتِ مِنْ زَمَانِي ... وَصُنْتُ نَفْسِي عَنِ الهَوَانِ
خَوْفًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا ... فَضْلُ فُلَانٍ عَلَى فُلَانِ

والشّافعيّ لا يَخْرُج -في معاني الزّهد- عمّا هو مألوف في هذا الغرض من ذمّ الدّنيا والتّزهيد فيها، والتّحذير من الذّنوب والمعاصي، مع الحثّ على التّوبة، والنّعي بالشّيب، وذكر الموت والقبر والحساب، مع قناعة النّفس والرّضى بما قسمه الله له من الرّزق.

المطلب الثّالث: الأغراض التّقليديّة.

باستقصائنا للأغراض التّقليديّة في ديوانه، نجد أنّ الشّافعيّ قد نظم بعض أشعاره في الفخر، وبعضها في هجاء الخصال الاجتماعيّة المرذولة، ونزرا يسيرا في المدح، على حين يكاد الغزل عنده يكون منعدما.

أوّلا: الفخر.

«الفخر فِطرة في العرب»[21]، ذلك أنّ العربيّ مجبول على التّمدّح بمكارم الأخلاق، وخصال المروءة، من شجاعة، وكرم، وشرف نسب، وما أشبه.

والشّافعيّ –رحمه الله- قد اجتمع له من المحامد ما يجعله يفخر بنفسه، وحُقّ له ذلك، فهو العربيّ القرشيّ شريفُ النّسب، وهو الفارس الهُمام الماهر بالرّماية، وهو الشّاعر المُجيد، والخطيب المفوّه، وهو الجواد السّخيّ، والشّهم عزيز النّفس. فلا غَرْو أن يفتخر ببعض ما اتّصف به حقيقة.

على أنّنا لا نجده في فخره يتعصّب لقبليّة، بل غالب فخره بصالح الأخلاق التي أنعم الله بها عليه؛ إذ نجده -مثلا- يفخر بعلوّ همّته، وعزّة نفسه التي تأبى الهوان، وبقناعته بما قَسَمَ الله له من رزق، وترفّعه عن سؤال غيره شيئا من متاع الدّنيا الزّائل، فيقول[22]:

أَمْطِرِي لُؤْلُؤًا جِبَالَ سَرَنْدِيـ (م) بَ، وَفِيضِي آبَارَ تَكْرُورَ تِبْرا
أَنَا إِنْ عِشْتُ لَسْتُ أَعْدَمُ قُوتًا ... وَإِذَا مُتُّ لَسْتُ أَعْدَمُ قَبْرا
هِمَّتِي هِمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي ... نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْرا
وَإِذَا مَا قَنَعْتُ بِالقُوتِ عُمْرِي ... فَلِمَاذَا أَزُورُ زَيْدًا وَعَمْرا

ويفخر الشّافعيّ بجوهره، الذي هو نفسه الأبيّة العزيزة، على الرّغم من فقره، ورثاثة ملبسه، قائلا[23]:

عَلَيَّ ثِيَابٌ لَوْ تُبَاعُ جَمِيعُهَا ... بِفِلْسٍ، لَكَانَ الفِلْسُ مِنْهُنَّ أَكْثَرَا
وَفِيهِنَّ نَفْسٌ لَوْ تُقَاسُ بِبَعْضِهَا ... نُفُوسُ الوَرَى، كَانَتْ أَجَلَّ وَأَكْبَرَا
وَمَا ضَرَّ السَّيْفَ إِخْلَاقُ غِمْدِهِ ... إِذَا كَانَ عَضْبًا حَيْثُ وَجَّهْتَهُ فَرَى

ثمّ نجده يتمدّح بنباهته، وقدرته على حلّ المسائل العلميّة المشكلة التي تُعرَض عليه، ويفخر بفصاحة لسانه، وكونه خطيبا مِصْقَعا، وأنّه غزير المروءة، قويّ الشّخصيّة، سيّدٌ بين النّاس، يسعى إلى جلب مصالحهم، و تفريج كرباتهم، وفي هذا يقول[24]:

إِذَا المُشْكِلَاتُ تَصَدَّيْنَ لِي ... كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا لِلنَّظَرْ

لِسَانٌ كَشَقْشَقَةِ الأَرْحَبِيْ (م) يِ، وَكَالحُسَامِ اليَمَانِيِّ الذَّكَرْ

وَلَسْتُ بِإِمَّعَةٍ فِي الرِّجَا (م) لِ، أُسَائِلُ هَذَا وَذَا مَا الخَبَرْ

وَلَكِنِّي مُدْرَهُ الأَصْغَرَيْ (م) نِ، جَلَّابُ خَيْرٍ وَفَرَّاجُ شَرّ

ومن حميد الخلال التي فخر بها: الحِلم؛ فهو مِن قوّة حِلمِه لا يَرُدّ على السّفهاء الذين يؤذونه بالكلام القبيح، وما يزيده هذا الحِلم إلّا عِزّةً ورِفعة. ويشبّه نفسه بعود الطِّيبِ الذي كُلَّما أُحرق، انبعثت منه رائحة زكيّة تشرح النّفوس، وهذا في قوله[25]:

يُخَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ ... فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيبا

يَزِيدُ سَفَاهَةً فَأَزِيدُ حِلْما ... كَعُودٍ زَادَهُ الإِحْرَاقُ طِيبا

وبتتبّع غرض الفخر في ديوان الشّافعيّ، يظهر أنّه من النّوع الفرديّ لا القبليّ؛ إذ نجده يفخر بنفسه، مشيدا بفضائله وكريم أخلاقه، وما اتّصف به من خصال حميدة، وهو ما يعكس لنا جانبا مهمّا من شخصيّة الشّافعيّ الإنسان، فهو –رحمه الله- بَشَر، ويعتريه بعض ما جبل عليه البشر، ومن ذلك الافتخار.

ولا شكّ في أنّ ما قاله في هذا الغرض كانت له دوافعه التي أثارته، ومناسباته التي استدعته، وإلاّ فإنّ الشّافعيّ ليس من النّوع الذي دَيْدَنُهُ الحديث عن نفسه، والتّمدّح بها، فهو العالم المتواضع الزّاهد البعيد عن الكبر والخيلاء.

ثانيا: الهجاء والنّقد الاجتماعيّ.

يُقَسِّم بعض الدّارسين الهجاء أربعةَ أَضْرُب[26] هي: الشّخصيّ، والقبليّ، وما كان ردّا على الخصوم، وما كان في نقد الرّذائل. ونجد الشّافعيّ قد تورّع عن هجاء أشخاص بذواتهم، أو قبائل مُعيّنة، كما لم ينغمس في حمأة الرّدّ على الخصوم ومجاراة السّفهاء، وكلُّ ما بين أيدينا مِن شعرِه، ممّا يصحّ أن نتناوله في باب الهجاء، لا يخرج عن الضّرب الأخير، أي نقد الرّذائل والتّنديد بها.

واستهجان الرّذائل أرقى الهجاء وأعفّه، لأنّه إلى النّقد التّربويّ أقرب، وبالتّوجيه الخلقيّ أشبه؛ فيه نصح وإرشاد، وتقويم وإصلاح، وهو أبعد ما يكون عن اتّباع الهوى، فلا ينال الشّاعر من أعراض النّاس لحاجة في نفسه، بل هو فيه مُخلِص للقيم النّبيلة، يُلخّص عصارة بعض

تجاربه في الحياة، ويرسله غُفلا[27] لا يتعمّد به الإساءة لأحد، بل الغاية منه إصلاحيّة محضة. وهذا الضّرب قريب من شعر الحكمة ومن الشّعر التّربويّ اللّذَيْنِ سبق الحديث عنهما.

فممّا نهى الشّافعيّ عنه مجاراةُ السّفهاء، فهم عنده أشبه بالكلاب، وعلى العاقل أن يجتنبهم ولو أساؤوا إليه، فالإعراض عنهم خير عقوبة لهم[28]:

أَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِ السَّفِيهِ ... فَكُلُّ مَا قَالَ فَهُوَ فِيهِ

مَا ضَرَّ بَحْرَ الفُرَاتِ يَوْمًا ... إِنْ خَاضَ بَعْضُ الكِلَابِ فِيهِ

على أنّنا قد نعثر للشّافعيّ على تعريضٍ بناس عايشهم، مستهجنا عليهم بعض الخصال، دون أن يذكرهم بأسمائهم، وهذا ممّا يدلّ على ورعه وكمال عقله –رحمه الله-، ومن أمثلة ذلك قوله[29]:

أَصْبَحْتُ مُطَّرَحًا فِي مَعْشَرٍ جَهِلُوا ... حَقَّ الأَدِيبِ، فَبَاعُوا الرَّأْسَ بِالذَّنَبِ

ففي هذا البيت يتحسّر ابن إدريس على نفسه، إذ صار يعيش بين أناس من العامّة لا يعرفون له حقّه، ولم يُنْزِلوه المكانة التي تليق بشاعر أديب أريب مثله، بل هم ملتفتون إلى غيره من أراذل النّاس؛ فهذا البيت هجاءٌ لهم بالجهالة وسفاهة الرّأي وفساد الذّوق.

ويعيب على أهل زمانه كثرة النّفاق في المعاملة، إذ فشا فيهم المكر والمَلَقُ، فهم كالزّهر منظرا، ولكنّهم كالشّوك في الملمس، فيقول[30]:

لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ إِلَّا المَكْرُ وَالمَلَقُ ... شَوْكٌ إِذَا لُمِسُوا، زَهْرٌ إِذَا رُمِقُوا

فَإِنْ دَعَتْكَ ضَرُورَاتٌ لِعِشْرَتِهِمْ ... فَكُنْ جَحِيمًا لَعَلَّ الشَّوْكَ يَحْتَرِقُ

ومِمّا يلحظه قارئ ديوان الشّافعيّ، أنّ فيه قدرا معتبرا من المقطوعات التي تناول فيها موضوع الصّداقة والأصدقاء، مُبديا في الغالب تذمّره من ندرة الصّديق الصّدوق، حاثّا على عدم رجاء مودّة النّاس، إذ لا وفاء لهم –في الغالب-، وهم لا يحفظون حقّ الصّحبة. فيقول -مثلا-[31]:

كُنْ سَائِرًا فِي ذَا الزَّمَانِ بِسَيْرِهِ ... وَعَنِ الوَرَى كُنْ رَاهِبًا فِي دَيْرِهِ

وَاغْسِلْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ... وَاحْذَرْ مَوَدَّتَهُمْ، تَنَلْ مِنْ خَيْرِهِ

إِنِّي اطَّلَعْتُ فَلَمْ أَجِدْ لِي صَاحِبًا ... أَصْحَبُهُ فِي الدَّهْرِ وَلَا فِي غَيْرِهِ

فَتَرَكْتُ أَسْفَلَهُمْ لِكَثْرَةِ شَرِّهِ ... وَتَرَكْتُ أَعْلَاهُمْ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ

ويشكو الشّافعيّ النّاس، ويتحسّر على غدرهم، وعدم وفائهم، وشماتة بعضهم ببعض إلى درجة التحاسد قائلا[32]:

إِنِّي صَحِبْتُ النَّاسَ مَا لَهُمْ عَدَدٌ ... وَكُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ مَلَأْتُ يَدِي

لَـمَّا بَلَوْتُ أَخِلَّائِي وَجَدْتُهُمُ ... كَالدَّهْرِ فِي الغَدْرِ لَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدِ
إِنْ غِبْتُ عَنْهُمْ، فَشَرُّ النَّاسِ يَشْتُمُنِي ... وَإِنْ مَرِضْتُ، فَخَيْرُ النَّاسِ لَمْ يَعُدِ
وَإِنْ رَأَوْنِي بِخَيْرٍ سَاءَهُمْ فَرَحِي ... وَإِنْ رَأَوْنِي بِشَرٍّ، سَرَّهُمْ نَكَدِي

وممّا يُلاحَظ على النّقد الاجتماعيّ عند الشّافعيّ، والذي تضمّن شيئا من الهجاء العفيف –إن جاز لنا أن نصفه بهذا الوصف-، أنّه لا إفحاش فيه ولا إقذاع، فهو تربويّ كما سبق أن ذكرنا، وهو واقعيّ صادق؛ فلا بهتان فيه ولا إسراف، ولا يهدف إلى إيلام أحد أو التّشفيّ منه، بل هو تشخيص لمظاهر حقيقيّة، عايشها الشّافعيّ في زمانه، فأنكرها ونفّر منها، حتّى يتجنّبها النّاس ويحذروها.

ثالثا: المدح.

المدح من الأغراض الشّعريّة التّقليديّة المعروفة منذ العصر الجاهلي، وقَلّ أن نجد شاعرا لم يقل فيه ولو قليلا، يحمله عليه إمّا الإعجاب بالممدوح، أو تصنّع الإعجاب طمعا في مكافأته.

وممّا ينبغي التّنبيه عليه أنّ المدح إذا كان في مَيْتٍ يسمّى ترثية، وهي خلاف الرّثاء الذي هو بكاء الميّت بعد موته[33].

ونجد للشّافعيّ بعض المقطّعات نظمها في مدح آل البيت، والثّناء عليهم، والتّعبير عن حبّهم وموالاتهم، ومقطوعةً في الإشادة بالخلفاء الرّاشدين والثّناء عليهم، وأخرى في مدح أبي حنيفة الإمام.

ففي آل البيت، يقول الشّافعيّ –عليه رحمة الله-[34]:

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ، حُبُّكُمُ ... فَرْضٌ مِنَ اللهِ، فِي القُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الفَخْرِ أَنَّكُمُ .. مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ، لَا صَلَاةَ لَهُ

فهو يعبّر في هذه النُّتفة عن حُبّه لآل بيت رسول اللّه -صلّى الله عليه وسلّم-، ويمدحهم بعظيم مكانتهم في الإسلام، حتّى إنّ مَنْ لَمْ يُصَلّ عليهم، فإنّه لا صلاة له. ولعلّه في هذا يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[35]، فقد ذكر الشّيخ عبد الرّحمن السّعديّ في تفسير هذه الآية أنّ أفضل هيئات الصّلاة عليه –عليه الصّلاة والسّلام- ما يُقال في الصّلاة الإبراهيميّة، وأنّ «هذا الأمر بالصّلاة والسّلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجبَه كثير من العلماء في الصّلاة»[36].

ويقول في مقطوعة أخرى معتدّا بحبّ آل محمّد –صلى الله عليه و آله وسلّم-[37]:

يَا رَاكِبًا، قِفْ بِالْمُحَصِّبِ مِنْ مِنًى ... وَاهْتِفْ بِقَاعِدِ خِيفِهَا وَالنَّاهِضِ

سَحَرًا إِذَا فَاضَ الحَجِيجُ إِلَى مِنًى ... فَيْضًا كَمُلْتَطِمِ الفُرَاتِ الفَائِضِ
إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ ... فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِيّ

وقد أنشد الشّافعيّ هذه الأبيات في حَجّ كما يظهر من سياق البيتين الأوّلَيْن، وهو في البيت الثالث يعبّر عن عاطفته تجاه آل البيت بكل وضوح؛ عاطفة الحبّ الصّادق المشروع، لا الحبّ المفضي إلى الغلوّ فيهم والتّشيّع لهم إلى درجة الرّفض، بل هو ينكر -ضمنيّا- أن يكون حبّه إيّاهم رفضا، وإن كان ظاهر البيت قد يُتَوَهَّمُ منه خلاف ذلك.

ويدلّنا على أنّه بَرَاءٌ ممّا رُمِيَ به مِن تشيّع، أنّنا لا نجده يغلو في آل البيت، فهو معتدل في حبّهم وموالاتهم، وهذا هو المشروع؛ فقد تظافرت الأدلّة في التّرغيب في حبّهم وإكرامهم وبيان فضلهم[38].

وينفي الشّافعيّ عن نفسه الانتساب إلى مذهب الرّوافض قائلا[39]:

قَالُوا تَرَفَّضْتَ، قُلْتُ كَلَّا ... مَا الرَّفْضُ دِينِي وَلاَ اعْتِقَادِي

ثمّ هو يَعجب أشدّ العَجَب ممّن يرون حبّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين رفضا، فيقول متبرّئا من هذا، ومادحا فاطمة بنت رسول اللّه -صلّى الله عليه وسلّم-[40]:

إِذَا فِي مَجْلِسٍ نَذْكُرُ عَلِيًّا ... وَسِبْطَيْهِ وَفَاطِمَةَ الزَّكِيَّه
يُقَالُ: تَجَاوَزُوا يَا قَوْمُ هَذَا ... فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ الرَّافِضِيَّه
بَرِئْتُ إِلَى المُهَيْمِنِ مِنْ أُنَاسٍ .. يَرَوْنَ الرَّفْضَ حُبَّ الفَاطِمِيَّه

فأنت تلحظ في البيت الأوّل مدح الشّافعيّ لفاطمة –رضي الله عنها- بأنّها زكيّة طاهرة، فهي من صلب الحبيب -صلّى الله عليه وسلّم-، وسيّدة نساء الجنّة، وأيّ شرف في بنات حوّاء أرفع من هذا؟!

وأمّا القطعة التي يشيد فيها الشّافعيّ بالخلفاء الأربعة –عليهم رضوان الله-، فيقول فيها[41]:

شَهِدْتُ بَأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ... وَأَشْهَدُ أَنَّ البَعْثَ حَقٌّ، وَأُخْلِصُ
وَأَنَّ عُرَى الإِيمَانِ قَوْلٌ مُبِينٌ ... وَفِعْلٌ ذَكِيٌّ قَدْ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ
وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةُ رَبِّهِ ... وَكَانَ أَبُو حَفْصٍ عَلَى الخَيْرِ يَحْرِصُ
وَأُشْهِدُ رَبِّي أَنَّ عُثْمَانَ فَاضِلٌ ... وَأَنَّ عَلِيًّا فَضْلُهُ مُتَخَصِّصُ
أَئِمَّةُ قَوْمٍ يُهْتَدَى بِهُدَاهُمُ ... لَحَى اللهُ مَنْ إِيَّاهُم يَتَنَقَّصُ

ونلحظ أنّ الشّافعيّ استهلّ هذه المقطوعة بشهادة التّوحيد وبيان بعض المسائل الإيمانيّة، ثمّ انتقل مباشرة إلى مدح الخلفاء الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، ذاكرا

إيّاهم بهذا التّرتيب، وهو ترتيب تاريخيّ من حيث تولّيهم الخلافة، وهو كذلك ترتيبهم في الفضل كما يعتقد أهل السّنة والجماعة، ممّا ليس هذا محلّ بسطه.

ونجده يمدح أبا بكر بالخلافة، وعمر بالحرص على الخير؛ إذ كان ينافس فيه أبا بكر. ويمدح عثمان بالفضل؛ فهو الحَيِيُّ، ذو النّورين، صِهرُ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-. ويمدح عليّا بالفضل كذلك؛ فهو أوّل من أسلم من الصِّبْيَة، وهو ابن عمّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وصِهره.

كما نعثر في ديوان الشّافعيّ على قطعة في مدح أبي حنيفة، وذِكر بعض فضائله، ومنها أنّه إمام المسلمين، العالمُ بالأثر والفقه، بل يراه أعلم أهل زمانه، ومن ثمّ يدعو له بالرّحمة قائلا[42]:

لَقَدْ زَانَ البِلَادَ وَمَنْ عَلَيْهَا ... إِمَامُ المُسْلِمِينَ أَبُو حَنِيفَه
بَأَحْكَامٍ وَآثَارٍ وَفِقْهٍ ... كَآيَاتِ الزَّبُورِ عَلَى الصَّحِيفَه
فَمَا بِالمَشْرِقَيْنِ لَهُ نَظِيرٌ ... وَلَا بِالمَغْرِبَيْنِ وَلَا بِكُوفَه
فَرَحْمَةُ رَبِّنَا أَبَدًا عَلَيْهِ ... مَدَى الأَيَّامِ مَا قُرِئَتْ صَحِيفَه

ويمكن أن نستشفّ من هذه الأماديح أنّ العاطفة فيها صادقة، نابعة من إعجاب الشّافعيّ بممدوحيه، ومعرفته بحقّهم، إذ لا يرجو من ورائها عطاء، وليس يتزلّف بها لأحد، بل لعلّها كانت من أسباب رميه بالتّشيّع لآل البيت، وهو ما حَرَص على نفيه عن نفسه.

ثمّ إنّ ابن إدريس لم يَغْلُ في ممدوحيه، ممّا أَلِفنا أن نجده عند بعض من يطغى على الحدّ في المدح فيدّعي للممدوح صفات لا تنبغي له، بل هو معتدل في مدحه، لا يعدو أن يعبّر عن عرفانه بمنزلة الممدوحين وقدرهم، وإعجابه بعظيم خصالهم، ومحبّته الصّادقة لهم.

رابعا: الغزل.

بتتبّع هذا الغرض في ديوان الشّافعيّ، نكاد نجده يخلو منه، اللّهم إلّا نَزْرًا يسيرا يصلح أن نورده في هذا الباب. ويظهر جليّا أنّ الشّافعيّ كان يتّخذ الشّعر وسيلة تربويّة هادفة، فلا مجال فيه لِلَهْوٍ أو تغزّل يُزري بمكانة العالِم ويذهب بوقاره.

ولا يعني هذا أنّ الشّافعيّ ما أحبّ امرأة قطّ ولا تغزّل قطّ، فهو بشر، والتّشبيب-كما يقول ابن قتيبة- «قريب من النّفوس، لائط بالقلوب، لِما قد جعل الله في تركيبة العباد من محبّة الغزل وإلف النّساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلّقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم، حلال أو حرام»[43].

ولعلّ الشّافعيّ ممّن ضربوا في الغزل بالسّهم الحلال، إذ قد يكون له غزل في امرأة أباح الله له أن يتغزّل بها زوجةً كانت أو جارية، لكنّه لم يَشع بين النّاس، لأنّه من الخصوصيات التي تكون بين الأزواج، ونادرا ما يتفلّت منه شيء قليل يجري مجرى المُلحة أو الحكمة، ممّا لا يُستحيى من إنشاده، ولا يعدّ إفشاء لأسرار الزّوجيّة.

ولعلّنا نستأنس على تكتّم الشّافعيّ في الغزل المباح، بنصيحته لرجل أُبْتُلِيَ بالعشق، فسأل أبا عبد الله ماذا يصنع قائلا[44]:

سَلِ المُفْتِيَ المَكِّيَّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... إِذَا اشْتَدَّ وَجْدٌ بِامْرِئٍ كَيْفَ يَصْنَعُ؟

فكتب الشّافعيّ في الرّقعة مجيبا:

يُدَاوِي هَوَاهُ ثُمَّ يَكْتُمُ وَجْدَهُ ... وَيَصْبِرُ فِي كُلِّ الأُمُورِ وَيَخْضَعُ

فأخذها صاحبها، وذهب بها، ثمّ جاءه وقد كتب تحت هذا البيت:

وَكَيْفَ يُدَاوِي وَالهَوَى قَاتِلُ الفَتَى ... وَفِي كُلِّ يَوْمٍ غُصَّةً يَتَجَرَّعُ؟!

فكتب الشّافعيّ:

فَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ ... فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ سِوَى المَوْت أَنْفَعُ

فكما نلحظ من هذه القصّة الطّريفة، نصح الشّافعي الرّجل بالصّبر والتّجلّد وكتمان حبّه والخضوع للقضاء والقدر.

وممّا يروى عن غزل الشّافعيّ، أنّه كانت له زوجة يحبّها، فكان يمازحها بقوله[45]:

وَمِنَ البَلِيَّةِ أَنْ تُحِبْ (م) بَ، وَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ

وَيَصُدُّ عَنْكَ بِوَجْهِهِ ... وَتُلِحُّ أَنْتَ فَلاَ تُغِبُّهُ

وهما بيتان عامّان ليس فيهما من النّسيب ما ألِفناه في أقوال شعراء الغزل، بل هما أقرب إلى الحكمة منهما إلى النّسيب.

وممّا يمكن أن نورده في هذا الباب، قوله في شوقه لامرأته، واصفا صعوبة الوصول إليها، شاكيا ما يعترضه من فقر ومخافة الطّريق[46]:

كَيْفَ الوُصُولُ إِلَى سُعَادَ وَدُونَهَا ... قُلَلُ الجِبَالِ وَدُونَهُنَّ حُتُوفُ

وَالرِّجْلُ حَافِيَةٌ، وَلَا لِي مَرْكَبٌ ... وَالكَفُّ صِفْرٌ وَالطَّرِيقُ مَخُوفُ

وقد كان الشّافعيّ –رحمه الله- أديبا أريبا حتّى وهو يستفتي في مسائل فقهيّة، إذ يُروى –مثلا- أنّ شابّا حَدِيثَ عهدٍ بزواجٍ استفتاه في رقعة عن ضَمّ الزّوجة وتقبيلها في نهار رمضان قائلا[47]:

سَلِ المُفْتِيَ المَكِّيَّ هَلْ فِي تَزَاوُرٍ ... وَضَمَّةِ مُشْتَاقِ الفُؤَادِ جُنَاحُ

فأفتاه الشّافعيّ بالجواز، مجيبا جوابَ المفتي الأديب:

مَعَاذَ اللهِ أَنْ يُذْهِبَ التُّقَى ... تَلَاصُقُ أَكْبَادٍ بِهِنَّ جِرَاحُ

وخلاصة القول في شعر الشّافعيّ من حيث مضامينه وأغراضه، أنّه لا يختلف كثيرا عن شعر الفقهاء؛ إذ تطغى عليه الحكمة، والشّعر التّربويّ الأخلاقيّ، والزّهد ومناجاة الله عزّ وجلّ، مع بعض المقطوعات في الفخر والاعتزاز بالنّفس، وأخرى في النّقد الاجتماعيّ، إضافة إلى ابتعاده عن شعر المناسبات، ولا سيّما المدح التّكسّبيّ والرّثاء، مع عدم اتّباعه تقاليد القصيدة القديمة، التي تطول نسبيّا وتُستَهَلّ بمقدّمة طلليّة.

المبحث الثّاني: الخصائص الفنّيّة لشعر الشّافعيّ.

نتناول في هذا المبحث الخصائص الفنّيّة لشعر الشّافعيّ في ثلاثة مطالب؛ فندرس في أوّلها الأفكار وبناء القصيدة، وفي ثانيها الخصائص اللّغويّة والبلاغيّة والعروضيّة، وأمّا المطلب الثّالث فنخصّصه للتّجربة الشّعريّة عند الشّافعيّ، ونبيّن فيه مدى التزامه الشّعريّ.

المطلب الأوّل: الخصائص الفكريّة وبناء القصيدة.

ويشتمل هذا المطلب على عنصرين: الأفكار، وبناء القصيدة.

أولا: الأفكار.

لقد حَفَل شِعر الشّافعيّ بالأفكار والمضامين السّامية التي دعا إليها الإسلام، وعلى الرّغم من التّنوّع النّسبيّ في مضامين شِعره، كما بيّنا في المبحث الأوّل من هذا المقال، فإنّ الحكمة والشّعر التّربويّ الأخلاقيّ والنّقد الاجتماعيّ هي المضامين التي طغت على ديوانه.

فقد سعى الشّافعيّ إلى نشر الأخلاق والآداب الإسلاميّة بين النّاس، وترسيخ القيم والمُثل العليا في نفوسهم؛ كعزّة النّفس، وعلوّ الهمّة، والقناعة، والجود، والصّبر، والصّدق، وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

ولنتأمّل –مثلا- قوله في بيان فضل الصّمت[48]:

وَجَدْتُ سُكُوتِي مَتْجَرًا فَلَزِمْتُهُ ... إِذَا لَمْ أَجِدْ رِبْحًا، فَلَسْتُ بِخَاسِرِ

وَمَا الصَّمْتُ إِلاَّ فِي الرِّجَالِ مُتَاجِرٌ ... وَتَاجِرُهُ يَعْلُو عَنْ كُلِّ تَاجِرِ

ففي هذين البيتين يضرب لنا الشّافعيّ مَثل الصّمت بالمتجر لِما بينهما من وجه شبه؛ فالسّاكت لا يخسر في سكوته، وكذلك التّاجر الذي يلزم متجره ولا يبيع لا يخسر بضاعته، وفي هذا تنويه بفضل الصّمت وأفضليّته على الكلام الذي لا خير فيه.

وكان لزاما على من يدعو إلى الفضائل أن يحذّر ممّا يضادّها مِن رذائل؛ ولذلك نجد شاعرنا يستهجن سفاسف الأخلاق وينفّر منها في مقطوعات كثيرة، ومن ذلك تحذيره من صحبة أهل المعاصي، كما في قوله[49]:

إِذَا لَمْ أَجِدْ خِلًّا تَقِيًّا فَوَحْدَتِي ... أَلَذُّ وَأَشْهَى مِنْ غَوِيٍّ أُعَاشِرُه

وَأَجْلِسُ وَحْدِي لِلْعِبَادَةِ آمِنًا ... أَقَرُّ لِعَيْنِي مِنْ جَلِيسٍ أُحَاذِرُه

والدّارس لشعر الشّافعيّ يجد تأثير القرآن الكريم فيه واضحا، فما أكثر ما اقتبس مِن المعاني القرآنيّة، وضَمَّنَ بعض الآيات في أبياته، ومن أمثلة ذلك قوله[50]:

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ ... وَمَا شِئْتُ –إِنْ لَمْ تَشَأْ- لَمْ يَكُنْ

خَلَقْتَ العِبَادَ لِمَا قَدْ عَلِمْتَ ... فَفِي العِلْمِ يَجْرِي الفَتَى وَالمُسِنّ

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ، وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ ... وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ، وَمِنْهُمْ حَسَن

ففي هذه الأبيات يقتبس أبو عبد الله المعاني من قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[51]، ومن قوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[52]، ومن قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[53]، ومن قول ربنا عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[54].

ولم يقتصر اقتباس الشّافعيّ على القرآن الكريم، بل شمل كذلك الحديث النّبويّ الشّريف، ومن ذلك –مثلا- قوله[55]:

اتَّقِ المُشْتَبِهَاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ مَا ... لَيْسَ يَعْنِيكَ وَاعْمَلَنْ بِنِيَّة

فقوله: «اتّق المشتبهات» فيه اقتباس من قول الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم-: «الحَلَالُ بَيّنٌ وَالحَرَامُ بَيّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اِتَّقَى المُشْتَبِهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِه...»[56].

وقوله: «ازهد» فيه إشارة إلى قول النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم-: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ»[57].

وقوله: «دع ما ليس يعنيك» مقتبس من قوله –صلّى الله عليه وسلّم-: «...فَعَلَيْكَ [يعني بنفسك]، وَدَعْ عَنْكَ العَوَامّ»[58].

وأمّا قوله: «اعملن بنيّة»، فمستمدّ من حديث: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[59].

ونلحظ أنّ أفكار الشّافعيّ سهلة واضحة، ليس فيها غموض أو تعقيد، لأنّ شاعرنا حريص على إيصال أفكاره التّربويّة الهادفة إلى النّاس، فهو يراعي البساطة في طرحها، وعدم الإغراق في الخيال.

وأفكار الشّافعيّ وإن كانت تبدو لقارئها سطحيّة قريبة المأخذ، قديمة من حيث معانيها، لا جِدّة فيها، فإنّها تعبّر عن نظرة عميقة للحياة والإنسان والطّبائع البشريّة.

ثانيا: بناء القصيدة.

من الظّواهر البارزة في شعر العصر العبّاسيّ الأوّل شيوع المقطّعات فيه، وغلبة القصائد القصيرة عليه، وقد أعانت على ذلك أسباب كثيرة منها: ذوق المجتمع العبّاسيّ، ومناسبةُ هذه المقطّعات مَجالسَ الخلفاء والوزراء والأمراء والأدباء، واستخدامها في مجالات جديدة كالكتابة على الحليّ والملابس والجدران[60].

كما أنّ المقطّعات تَشيع في أغراض دون أخرى، كشِعر الحكمة والزّهد، والشّعر التّربويّ الأخلاقيّ، وكذا الغزل والهجاء[61].

وإذا تصفّحنا دواوين الشّعراء العبّاسيّين أو طالعنا أخبارهم، أدركنا أنّ ما قالوه من مقطّعات يشغل حيّزا كبيرا ممّا خلّفوه من أشعار، «فإذا تأمّلت هذه المقطّعات، أدركت أنّهم تناولوا فيها كلّ آفاق التّجربة الشّعرية التي حلّقوا فيها... ومعنى هذا أنّ شكل المقطوعة الشّعريّة القصيرة قد صار في العصر العبّاسيّ إطارا فنّيّا»[62].

وأغلب شعر الأمام الشّافعيّ جاء في شكل مقطوعات بنسبة 93%، إذ لا نجد له من مجموع شعره إلّا ستّ قصائد، أطولها في عشرين بيتا، والتي تليها في ثلاثة عشر بيتا، ثم اثني عشر، ثمّ أحد عشر بيتا، وقصيدتان من ثمانية أبيات، وواحدة سُباعيّة. أمّا بقيّة شعره فمقطوعات جاء قرابة نصفها مكوّنا من بيتين، والأخرى منها سبع مقطوعات سداسيّة، وثمان خماسيّة، وسبع عشرة مقطوعة رباعيّة، وإحدى وعشرون مقطوعة ثلاثيّة، وثلاثة عشر بيتا يتيما[63].

وليست غلبة المقطّعات على شعر الشّافعيّ ممّا يعيبه أو يحطّ من شاعريّته، بل التّطويل والتّقصير مردّهما إلى طبيعة الشّاعر وموهبته الشّعريّة، وطبيعة الأغراض التي يقول فيها. ويرى الأستاذ عبد العزيز سيّد الأهل: «أنّ ميل الشّافعيّ إلى المقطّعات كان صادرا عن طبعه الذي اختار الإيجاز»[64]، فخير الكلام ما قلّ ودلّ.

ويبدو جليّا أنّ شعر الشّافعيّ هو ممّا قلّ لفظه وكثر معناه، ولا يتأتّى هذا لكلّ الشّعراء، بل للمتمكّنين منهم فقط. فهناك من الشّعراء من يتعمّد الإيجاز وتركيز أفكاره في مقطّعات لا حشو فيها، يسهل حفظها وتداولها بين النّاس؛ وقديما لِيم بعضهم على اقتصاره على المقطّعات دون القصائد الطّويلة فقال: «يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق»، وقال آخر: «لم أجد المثل النّادر إلّا بيتا واحدا، ولم أجد الشّعر السّائر إلاّ بيتا واحدا»[65].

ومن الأبيات اليتيمة للشّافعيّ التي صاغها صياغة المثل السّائر قوله[66]:

رَامَ نَفْعًا فَضَرَّ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ ... وَمِنَ البِرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقًا

ويذهب بعض الدّارسين إلى أنّ أسباب النّظم في شكل مقطوعات ثلاثة: فنّيّ، ونفسيّ، وشكليّ. فأمّا الأوّل فهو الإيجاز والابتعاد عن الحشو مع تهذيب المقطوعة وتنقيحها طلبا للجودة. وأمّا الثّاني والثّالث، فلكون المقطوعات أعلق في النّفوس، وأكثر رواجا في الحفظ[67].

والمقطوعة -في الغالب- مُرتجلة عفويّة لا تكلّف فيها، فهي «إطار محدود وضيّق، يعبّر فيه الشّاعر أحيانا عن خاطر راوده، أو شعور حادّ في لحظة من اللّحظات، أو معنى طريف جال بنفسه فاقتنصه دون أن يتوسّع فيه أو يولّد منه ما يصنع قصيدة طويلة»[68].

المطلب الثّاني: الخصائص اللّغويّة والبلاغيّة والعروضيّة.

في هذا المطلب سنتطرّق إلى خصائص اللّغة والأسلوب في شعر الشّافعيّ، ثمّ للفنون البلاغيّة فيه، لندرس من ثمّة الجانب العروضيّ.

أوّلا: اللّغة والأسلوب.

إذا تجاوزنا الإطار العامّ للقصيدة إلى عناصرها المفردة، لاحظنا في البداية أن قدرا غير يسير من آثار المعجم الشّعريّ والتّراكيب اللّغويّة القديمة ظلّت أدوات تعبيريّة يستعين بها الشّاعر العبّاسيّ ويركّز عليها في نسج قصائده المحكمة، إذ كثيرا ما يتّخذ الشّاعر من الصّيغ الجاهزة مفاتيح لبناء أشعاره، ولا سيّما في الأغراض التّقليديّة كالمدح والهجاء والفخر[69]. مع أنّنا نجد في هذا العصر محاولات مختلفة للخروج عن إطار هذا المعجم القديم، واستخدام معجم عصريّ يشتقّ عناصره التّعبيريّة ممّا يجري على ألسنة النّاس من مفردات وتراكيب[70].

والشّافعيّ قد جمع في لغته بين العذوبة وجودة السّبك ومتانة الصّياغة من غير تصنّع، مع اقتدار على المعجم وتحكّم فيه؛ ينتقي من مفرداته ما يناسب معانِيَه، ويضعها في مكانها المناسب، وهو ما جعل كبار علماء اللّغة يعجبون بلغته، ومنهم الجاحظ الذي قال عنه: «نظرتُ في كتب الشّافعيّ، فإذا هو دُرّ منظوم إلى دُرّ، ونظرت في كتب "فلان" فإذا هو كلام أطبّاء»[71].

وكان عبد الملك بن هشام النّحويّ إذا شكّ في شيء من اللّغة بعث إلى الشّافعيّ فسأله عنه، وكان يقول: «طالت مجالستنا محمّدَ بن إدريس الشّافعيّ، فما سمعت منه لحنة قطّ، ولا كلمةً غيرُها أحسنُ منها»[72].

والشّافعيّ حجّة في اللّغة تؤخذ عنه عند كثير من علمائها، كابن هشام صاحب المغازي[73]. ففضلا عن قرشيّته، تلقّى اللّغة صافيةً من الهذليّين ما يربو على سبع عشرة سنة،

وروى أشعارهم، كما زادَ الوحيانِ معجمَه سعة وغزارة، ولسانَه فصاحة، حتّى قال فيه الرّبيع بن سليمان: «لو رأيتَ الشّافعيّ وحُسْنَ بيانه وفصاحته، لتعجّبت منه، ولو أنّه ألّف هذه الكتب على عربيّته التي يتكلّم بها، لم يُقْدَر على قراءة كتبه»[74].

والنّاظر في شعر الشّافعيّ يجده يتجنّب الوعر من الألفاظ، ويتفادى الحوشيّ المتكلّف، مع سلاسة في التّعبير، وبساطة أسلوب يفهمه العامّ والخاصّ، وهو ما يجعلنا نقول عن شعره إنّه من السّهل الممتنع الّذي لا يقدر عليه إلّا آحاد الشّعراء.

ثانيا: الفنون البلاغيّة.

لا يخلو شعر الشّافعيّ من الفنون البلاغيّة، سواء ما اتّصل منها بالبديع أو البيان أو المعاني. فالمحسّنات البديعيّة كثيرة في شعره، رصّعت أبياته من غير تصنّع؛ فليس هو يتكلّفها، ولا هو يُلِحّ في طلبها، وإنّما تأتي على نحو يتّفق مع طبعه وسليقته، ومن ذلك –مثلا- المقابلة والطّباق في قوله[75]:

رَامَ نَفْعًا فَضَرَّ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ ... وَمِنَ البِرِّ مَا يَكُونُ عُقُوقًا

فالشّطر الأوّل من هذا البيت حوى مقابلة بين «رام نفعا» و«ضرّ من غير قصد»، والشّطر الثّاني فيه طباق بين كلمتي "البرّ" و"العقوق".

ومن جميل مقابلاته قوله[76]:

أَمَا تَرَى الأُسْدَ تُخْشَى وَهِيَ صَامِتَةٌ ... وَالكَلْبُ يُخْسَى لَعَمْرِي وَهُوَ نَبَّاحُ

إذ قابل بين (الأسد، تُخشى، صامتة) و(الكلب، يُخسى، نبّاح).

ولِفَنِّ الجناس حظ وافر من شعره، وهو -كما المقابلة والطّباق- يأتي دون تكلّف، على أنّه أقلّ منهما كمّا، ونذكر منه قوله[77]:

والجِدُّ يُدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ ... وَالجَدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقِ

ففي هذا البيت جناس ناقص بين الجِدّ (بكسر الجيم) وهو الكَدّ والاجتهاد في الشّيء، والجَدّ (بفتح الجيم) وهو الحظّ.

ومن الجناس التّام قوله[78]:

العِلْمُ مِنْ فَضْلِهِ لِمَنْ خَدَمَه ... أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَدَمَه

إذ أورد جناسا تامّا بين الجملة الفعليّة "خَدَمَه" والمضاف والمضاف إليه "خَدَمَه".

ومن فنون البديع المعنويّة في شعره ما يُعرف بالطّيّ والنّشر[79]، ومنه قوله[80]:

أَصْبَحْتُ بَيْنَ أَدِيبٍ مَا لَهُ حَسَبٌ ... يَسْمُو بِهِ، وَحَسِيبٍ مَا لَهُ أَدَبُ

فَذَاكَ يَحْسُدُنِي إِذْ كُنْتُ ذَا حَسَبٍ ... عَالٍ، وَيَحْسُدُنِي هَذَا عَلَى الأَدَبِ(*)

وأمّا الصُّوَرُ البيانيّة فكثيرة في شعر ابن إدريس، ومنها التّشبيه الذي نجده حاضرا بكثرة في نظمه، حيث وظّفه توظيفا حسنا جعله يصوّر المعنى تصويرا بديعا يخرج به عن المألوف في بعض الأحيان، كتشبيهه العاقل الورع بالعليل السّقيم في اشتغال كلّ منهما بنفسه، قائلا[81]:

وَالمَرْءُ إِنْ كَانَ عَاقِلًا وَرِعًا ... يَشْغَلُهُ عَنْ عُيُوبِهِمْ وَرَعُه

كَمَا العَلِيلُ السَّقِيمُ أَشْغَلَهُ ... عَنْ وَجَعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَجَعُه

ولنتأمّل تشبيها بديعا آخر في قوله[82]:

والشَّاعِرُ المِنْطِيقُ أَسْوَدُ سَالِخٌ ... وَالشِّعْرُ مِنْهُ لُعَابُهُ وَمُجَاجُه

ففي هذا البيت يشبّه الشّافعيّ الشّاعرَ بالثّعبان الأسود، ويشبّه شعره بلعاب هذا الثّعبان وما يخرج من فيه من مُجَاج.

وفضلا عن التّشبيه، نجد المجاز مبثوثا في شعره، كنسبته الإنطاق -الذي هو من خواصّ الإنسان- إلى الدّراهم، في قوله[83]:

وَأَنْطَقَتِ الدَّرَاهِمُ بَعْدَ صَمْتٍ ... أُنَاسًا طَالَمَا كَانُوا سُكُوتًا

ومن الكناية في شعره ما وصف به مجلس عِلم كأنّه يصف مجلس شراب وأنس[84]:

أَكْرِمْ بِمَجْلِسِ فِتْيَةٍ ... رَيْحَانُهُمْ وَرَقُ السُّدُورْ

صَبُّوا أَبَارِيقَ الهَوَى ... بَيْنَ القُلُوبِ عَلَى الصُّدُورْ

جَعَلُوا شَرَابَهُم الحَدِ (م) يثَ، وَكَأْسُهُمْ أَبَدًا تَدُورْ

لقد أضفت هذه الصّور البيانيّة بلاغة على شعر الشّافعيّ، وأكسبته المحسّنات البديعيّة حلّة قشيبة، جعلته -على الرّغم من بساطة لغته- بعيدا عن النّثريّة التي غالبا ما يصطبغ بها شعر الفقهاء.

ثالثا: الخصائص العروضيّة

باستقراء الأوزان العروضيّة التي نظم فيها الشّافعيّ، نلحظ غلبة البحور الطّويلة على شعره بنسبة تصل إلى 77%.[85]

ويأتي بحر الطّويل في طليعة هذه البحور من حيث كثرة الاستخدام، إذ نجد منه أربعين نصّا شعريّا، يليه بحر البسيط، فالكامل والوافر بمقدار عشرين نصّا لكلّ بحر، كما استخدم البحر المتقارب في نصّين[86].

وأمّا استخدامه للبحور الخفيفة فجاء قليلا مقارنة بالبحور الطّويلة، بنسبة لا تتجاوز 23%، وأكثر هذه البحور السّريع ومجزوء الكامل والخفيف ومجزوءه، ثمّ الرّمل والرّجز والمنسرح ومخلّع البسيط[87].

أمّا قوافي شعره، فقد جاء أكثرُ حروفِ رويّها مُطّرِدًا مع الحروف المعهودة عند الشّعراء، يتصدّرها الرّاء والنّون بعشرين نصّا لكلّ منهما، ثمّ الميم واللّام والعين والباء والقاف، بمعدّل عشرة نصوص لكلّ حرف، ثمّ حرفا الدّال والياء بمقدار سبعة نصوص لكّل منهما[88].

ويقلّ استخدامه للحروف الأخرى التي قلّ استخدامها عند الشّعراء، وهي الهاء والألف والهمزة والسّين والصّاد والضّاد والحاء والجيم والكاف والواو[89].

ومن هنا يتبيّن لنا أنّ الشّافعيّ لم يشذّ عن عادة الشّعراء من حيث التّقيّد بعروضِ الخليل والشّائعِ من القوافي في زمانه، ممّا اختاره طبعُه من دون تكلّف أو تطلّب الوعر من الحروف.

كما أنّ شاعرنا لم يخرج عن وحدة القافية، وليس هذا بعجيب إذا علمنا أنّه سليم الطّبع، مقتدر على القوافي، فضلا عن اعتماده على المقطّعات، فلا حاجة به إلى التّنويع في القوافي كما فعل بعض الشّعراء العبّاسيّين الذين احتاجوا إلى ذلك في قصائدهم الطّوال، وخصوصا في نظم العلوم.

المطلب الثّالث: الالتزام الشّعريّ والتّجربة الشّعريّة

ويضمّ هذا المطلب عنصرين؛ أحدهما نبيّن فيه مدى الالتزام الشّعريّ عند الشّافعيّ، والآخر نتحدّث فيه عن تجربته الشّعريّة.

أوّلا: الالتزام الشّعريّ.

يُراد بالالتزام الشّعريّ في اصطلاح نقّاد الأدب، أن يلتزم الشّاعر في شعره بخدمة المجتمع بقِيَمه وأفكاره، وهو الأمر الذي نجده متحقّقا لدى الشّافعيّ؛ فالالتزام عنده تلقائيّ يتّفق من روحه ووجدانه، وينسجم مع علمه وفقهه، ونلمس ذلك في أكثر مضامين موضوعاته الشّعريّة[90]، ولا سيّما ما اتّصل منها بالحكمة والشّعر الأخلاقيّ التّربويّ.

فشعر الشّافعيّ نابع من تعاليم الشّريعة الإسلاميّة، هادف تربويّ، سعى به إلى إرشاد المسلمين وتوجيههم إلى الخير، وتحذيرهم من سيّء الأخلاق وسَفْسَافِها.

وليس من العجيب أن نجد الشّافعيّ ملتزما في شعره، فهو الإمام في الدّين، الدّاعية إلى طاعة الله واجتناب معاصيه، العامل بما يدعو النّاس إليه، فهو واحد من الشّعراء الفقهاء،

الذين يغلب على شعرهم الواقعيّة الاجتماعيّة، إذ يتّخذونه وسيلة إصلاحيّة، يُسَخّرونها لإرشاد النّاس وتوجيههم.

ولقد سبق لنا في المبحث الأوّل من هذا المقال أن تناولنا شعر الشّافعيّ من حيث أغراضه ومضامينه، فألفينا أكثرَه حكمةً، وشعرا أخلاقيّا تربويّا، ونقدا للمثالب الاجتماعيّة، وهو ما يعكس لنا بجلاء قوّة الالتزام الشّعريّ عند شاعرنا.

ولنتأمّل حرص الشّافعيّ على أحوال النّاس، بدعوته ولاة الأمر إلى الجود والإنفاق على الرّعيّة، قائلا[91]:

إِذَا لَمْ تَجُودُوا وَالأُمُورُ بِكُمْ تَمْضِي ... وَقَدْ مَلَكَتْ أَيْدِيكُم البَسْطَ وَالقَبْضَا

فَمَاذَا يُرَجَّى مِنْكُمْ إِنْ عُزِلْتُمْ ... وَعَضَّتْكُمُ الدُّنْيَا بَأَنْيَابِهَا عَضًّا

وَتَسْتَرْجِعُ الأَيَّامُ مَا وَهَبَتْكُم ... وَمِنْ عَادَةِ الأَيَّامِ تَسْتَرْجِعُ القَرْضَا

<u>ثانيا</u>: التّجربة الشّعريّة.

يُقصد بالتّجربة الشّعريّة «الخبرة النّفسيّة للشّاعر حين يقع تحت سيطرة مؤثّر ما، يندمج فيه مستغرقا استغراقا فنّيّا، ثمّ ينفعل به، معبّرا عنه شعرا»[92]، أي هي الظّروف والعوامل التي عاشها الشّاعر وولّدت لديه انفعالات عبّر عنها بالشّعر.

وانطلاقا من هذا التّعريف يمكننا أن نقول إنّ التّجربة الشّعريّة عند الشّافعيّ عميقة، واقعيّة بعيدة عن الإغراق في الخيال، تكتنفها عاطفة صادقة، تجسّدت في حرصه على توجيه النّاس والسّموّ بأخلاقهم، وفي تعبيرِ إنسانٍ حكيم عن نظرته إلى الحياة، وعن مواقفه من أحداث عايشها حقيقة.

ولعلّ من أجمل قصائد الشّافعيّ التي تعكس جانبا من تجربته الشّعريّة، تلك التي تناول فيها حقيقةَ الصّداقةِ وموقفه من ندرة الصّديق الوفيّ، وفيها يقول[93]:

إِذَا المَرْءُ لَا يَرْعَاكَ إِلاَّ تَكَلُّفا ... فَدَعْهُ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ التَّأَسُّفَا

فَفِي النَّاسِ أَبْدَالٌ وَفِي التَّرْكِ رَاحَةٌ ... وَفِي القَلْبِ صَبْرٌ لِلحَبِيبِ وَلَوْ جَفَا

فَمَا كُلُّ مَنْ تَهْوَاهُ يَهْوَاكَ قَلْبُهُ ... وَلاَ كُلُّ مَنْ صَافَيْتَهُ لَكَ قَدْ صَفَا

إِذَا لَمْ يَكُنْ صَفْوُ الوِدَادِ طَبِيعَةً ... فَلَا خَيْرَ فِي خِلٍّ يَجِيءُ تَكَلُّفا

وَلَا خَيْرَ فِي خِلٍّ يَخُونُ خَلِيلَهُ ... وَيَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ المَوَدَّةِ بِالجَفَا

وَيُنْكِرُ عَيْشًا قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... وَيُظْهِرُ سِرًّا كَانَ بِالأَمْسِ قَدْ خَفَا

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا ... صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقُ الوَعْدِ مُنْصِفا

فهذه القصيدة تعكس لنا بعض تجربة الشّافعيّ، إذ يتّضح منها أنّه عانى من قلّة الصّديق الوفيّ، فعبّر من خلالها عن عاطفة جاشت في نفسه، مِزاجها الأسى ورباطةُ الجأش، فجاءت الأفكار واقعيّة واضحة بعيدة عن الخيال، صاغها ابن إدريس في قالب حِكميّ عميق.

ومع أنّ الشّافعيّ فقيه مشتغل بعلوم الدّين، غير منصرف لقول الشّعر، فإنّ ما بين أيدينا مِن شِعرٍ يدلّ بحقّ على أنّه شاعر مجيد؛ ساعده على نبوغه الشّعريّ نشأته في قبيلة هُذيل، يطلب أشعار العرب وأخبارها وأيّامها، ويتلقّى اللّغة عن فُصَحائِها، حتّى صار راوِيَة لأشعار الهذليّين، يصحّحها على يديه كبار علماء اللّغة ورواة الشّعر من أمثال الأصمعيّ. ولا شكّ في أنّ هذه العوامل قد صقلت موهبته الشّعريّة التي جُبل عليها، كيف لا وهو العربيّ القحّ، سليل قبيلة قريش أفصحِ العرب.

وبناء على ما سبق عرضه في هذا المبحث، نخلص إلى إنّ شعر الشّافعيّ شعر سهل ممتنع؛ فهو واضح الفكرة، عميق المغزى، صادق العاطفة، رقيق اللّفظ، سلس العبارة، بديع الصّورة، محكم السّبك، يُبِينُ بحقّ عن أنّ صاحبه شاعر مطبوع، تجود قريحته بالأشعار عفوا من غير تكلّف.

خاتمة:

تناولنا في هذا البحث المضامين الشّعرية التي اشتمل عليها ديوان الشّافعيّ، ثمّ بيّنّا أهمّ الخصائص الفنّيّة لشعره، وقد خلصنا من خلال هذه الدّراسة إلى النّتائج الآتية:

1- إنّ ما وصلنا من شعر الشّافعيّ عبارة عن مقطوعات قصيرة أغلبها لا يتجاوز خمسة أبيات، ولا يمكن تأكيد نسبتها كلّها إليه؛ إذ يجد الدّارس لشعره أنّ فيه ما يتنافى مع فقهه وعلمه، ومن ذلك مثلا:

لَيْتَ الكِلَابَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَة ... وَلَيْتَنَا لَا نَرَى مِمَّا نَرَى أَحَدا

إِنَّ الكِلَابَ لَتَهْدِي فِي مَوَاطِنِهَا ... وَالخَلْقُ لَيْسَ بِهَادٍ شَرُّهُمْ أَبَدا

فَاهْرُبْ بِنَفْسِكَ وَاسْتَأْنِسْ بِوَحْدَتِهَا ... تَبْقَ سَعِيدًا إِذَا مَا كُنْتَ مُنْفَرِدا

فنحن نستبعد أن تصدر مثل هذه الأبيات عن عالم بالشّريعة؛ إذ ليس الشّافعيّ ممّن يخفى عنه أنّ مخالطة النّاس والصّبر على أذاهم خير من العزلة، فضلا عن كونهم محتاجين إلى العلماء مِن أمثاله بَيْن ظهرانيهم؛ يرشدونهم إلى الحقّ ويعلّمونهم دينهم.

2- شعر الشّافعيّ سهل ممتنع، وهو أقرب إلى شعر الفقهاء منه إلى شعر الفحول، إذ يغلب عليه طابع الحكمة وتوجيه النّاس إلى الخير وتربيتهم على الفضيلة، وانتقاد مساوئ الأخلاق.

3- من الخصائص الفنّيّة التي يتميّز بها شعر الشّافعيّ: وضوح أفكاره وابتعاده عن التّعقيد في المعاني، وصدق عاطفته، وبساطة لغته، وسلاسة أسلوبه، وقرب صوره الفنّيّة.

4- إنّ السّهولة التي طبعت شعر الشّافعيّ كانت سببا من أسباب قبوله وانتشاره بين النّاس، فضلا عن أنّ الوعظ بأسلوب لَيِّنٍ عاملٌ مُعِين على ذلك. ولعلّ حبّ هذا العالم واتّباع مذهبه كان سببا آخر من أسباب الإقبال على شعره والحرص على حفظه.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
1- البخاري، محمّد بن إسماعيل: الجامع الصّحيح، تحقيق: محبّ الدّين الخطيب وآخران، المطبعة السّلفية، القاهرة، د.ط، د.ت.
2- البيهقي، أحمد بن الحسين: مناقب الشّافعيّ، تحقيق: أحمد صقر، دار التّراث، القاهرة، ط1، 1971م.
3- الجاحظ: البيان والتّبيين، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.
4- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللّغة العربيّة، موفم للنّشر، الجزائر، د.ط، 1993.
5- ابن الجوزي: صفوة الصّفوة، تحقيق: محمود فاخوري، دار المعرفة، ط3، 1405ه/1958م.
6- ابن حجر العسقلاني: توالي التّأسيس لمعالي محمّد بن إدريس، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1406ه/1986م.
7- الحمويّ، ياقوت: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993.
8- ابن خلدون: المقدّمة، اعتنى بها: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت، ط1، 1431ه/2010م.
9- ابن خلّكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، د.ت.
10- أبو داود السّجستانيّ: سنن أبي داود، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرّياض، ط2، د.ت.
11- الدّقر، عبد الغنيّ: الإمام الشّافعيّ (فقيه السّنّة الأكبر)، دار القلم، دمشق، ط6، 1417ه/1996م.
12- ديوان الشّافعيّ، مراجعة: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م.
13- ديوان الشّافعيّ، تحقيق: إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط3، 1416ه/1996م.
14- ديوان الشّافعيّ، شرح: عمر فاروق الطّبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ط، د.ت.
15- ديوان الشّافعيّ، جمع وتحقيق ودراسة: مجاهد مصطفى بهجت، دار القلم، دمشق، ط1، 1420ه/1999م.
16- الذّهبي: سير أعلام النّبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمّد نعيم العرقسّوسي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1402ه/1982م.

17- الرّازيّ، ابن أبي حاتم: آداب الشّافعيّ ومناقبه، تحقيق: عبد الغنيّ عبد الخالق، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.
18- الرّافعيّ، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب، دار ابن الجوزيّ، القاهرة، ط1، 2010م.
19- أبو زهرة، محمّد: الشّافعيّ؛ حياته وعصره وآراؤه وفقهه، دار الفكر العربيّ، د.م، ط2، 1968م.
20- السّعدي، عبد الرّحمن: تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان تحقيق: عبد الرّحمن بن معلّا اللُّوَيْحِق، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.
21- سعيدي أبو بكر: في اللّغة والأدب العربيّ (للسّنة الثّانية ثانوي)، دار الحديث للكتاب، الجزائر، ط1، 2007.
22- الشّرباصي، أحمد: الأئمّة الأربعة، دار الهلال، مصر، د.ط، د.ت.
23- الصّفدي، صلاح الدّين: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م.
24- الطّربولي، محمّد عويد: الأعمى التّطيلي شاعر عصر المرابطين، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ط1، 1426هـ/2005م.
25- طليمات غازي، وعرفان الأشقر: الأدب الجاهليّ، دار الفكر، دمشق، ط2، 2007م، ص251.
26- عزّ الدّين إسماعيل: في الأدب العبّاسيّ، دار النّهضة العربيّة، بيروت، د.ط، 1975م.
27- العزّي، عبد المنعم صالح العليّ: تهذيب مدارج السّالكين لابن القيّم، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت، ط1، 1428هـ/2007م.
28- عمر فرّوخ: تاريخ الأدب العربيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1401هـ/1981م.
29- ابن قتيبة: الشّعر والشّعراء، تحقيق أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.س.
30- ابن ماجة: سنن ابن ماجة، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرّياض، ط1، د.ت.
31- محمّد أفندي مصطفى: الجوهر النّفيس في تاريخ حياة الإمام محمّد بن إدريس، المطبعة الحسينية، مصر، 1326هـ/1908م.
32- ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت.
33- أبو نُعَيْم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 1406هـ/1988م.
34- النّوويّ، أبو زكريّا محيي الدّين بن شرف:
- تهذيب الأسماء واللّغات، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ط، د.ت.
- رياض الصّالحين، تحقيق محمود بن الجميل، دار الإمام مالك، الجزائر، ط2، 1424هـ/2004م.
35- الهاشميّ، السّيّد أحمد: جواهر البلاغة، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط2، 1427هـ/2006م.

هوامش البحث:

[1] - يُنظر في ترجمته: عبد الغنيّ الدّقر: الإمام الشّافعيّ (فقيه السّنّة الأكبر)، دار القلم، دمشق، ط6، 1417هـ/1996م. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللّغة العربيّة، موفم للنّشر، الجزائر، د.ط، 1993. محمّد أبو زهرة: الشّافعيّ؛ حياته وعصره وآراؤه وفقهه، دار الفكر العربيّ، د.م، ط2، 1968م. أحمد الشّرباصي: الأئمّة الأربعة، دار الهلال، مصر، د.ط، د.ت. ابن حجر العسقلاني: توالي التّأسيس لمعالي محمّد بن إدريس، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م. أبو نُعَيْم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 1406هـ/1988م. محمّد أفندي مصطفى: الجوهر النّفيس في تاريخ حياة الإمام محمّد بن إدريس، المطبعة الحسينية، مصر، 1326هـ/1908م. ابن خلّكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، د.ت. الذّهبي: سير أعلام النّبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمّد نعيم العرقسّوسي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م. صلاح الدّين الصّفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م. البيهقي، أحمد بن الحسين: مناقب الشّافعيّ، تحقيق: أحمد صقر، دار التّراث، القاهرة، ط1، 1971م. الرّازيّ، ابن أبي حاتم: آداب الشّافعيّ ومناقبه، تحقيق: عبد الغنيّ عبد الخالق، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م. ياقوت الحمويّ: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993. ابن خلدون: المقدّمة، اعتنى بها: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت، ط1، 1431هـ/2010م. النّوويّ، أبو زكريّا محيي الدّين بن شرف: تهذيب الأسماء واللّغات، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ط، د.ت. ابن الجوزي: صفوة الصّفوة، تحقيق: محمود فاخوري، دار المعرفة، ط3، 1405هـ/1958م.

[2] - غازي طليمات وعرفان الأشقر: الأدب الجاهليّ، دار الفكر، دمشق، ط2، 2007م، ص251.

[3] - ديوان الشّافعيّ، تحقيق: إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط3، 1416هـ/1996م. ص.ص50-51.

[4] - لقمان: 18.

[5] - آل عمران: بعض الآية 185.

[6] - ديوان الشّافعيّ، مراجعة: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ط1، 1996م ، ص61.

[7] - الأعراف: بعض الآية 31.

[8] - ديوان الشّافعيّ، شرح: عمر فاروق الطّباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ط، د.ت، ص60.

[9] - نفسه، ص35.

[10] - ديوان الشّافعيّ، مراجعة: إحسان عبّاس، ص65.

[11] - نفسه، ص62.

[12] - ديوان الشّافعيّ، شرح: عمر فاروق الطّبّاع، ص115.

[13] - ديوان الشّافعيّ، مراجعة: إحسان عبّاس، ص36.

[14] - نفسه، ص13.

[15] - ياقوت الحمويّ، مرجع سابق، 2404/6.

[16] - عبد المنعم صالح العليّ العزّي: تهذيب مدارج السّالكين لابن القيّم، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، بيروت، ط1، 1428هـ/2007م، ص276.

[17] - ديوان الشّافعيّ، مراجعة: إحسان عبّاس، ص64.

[18] - ديوان الشّافعيّ، شرح: عمر فاروق الطّبّاع، ص71.

[19] - نفسه، ص90.

[20] - ديوان الشّافعيّ، تحقيق: إيميل بديع يعقوب، ص144.

[21] - مصطفى صادق الرّافعيّ: تاريخ آداب العرب، دار ابن الجوزيّ، القاهرة، ط1، 2010م، 68/3.

[22] - ديوان الشّافعيّ، شرح: عمر فاروق الطّبّاع، ص69.

[23] - نفسه، ص70.

[24] - نفسه، ص72.

[25] - ديوان الشّافعيّ، شرح: عمر فاروق الطّبّاع، ص.ص45-46.

[26] - غازي طليمات وعرفان الأشقر: مرجع سابق، ص.ص222-223.

[27] - نفسه، ص.ص230-231.

[28] - ديوان الشّافعيّ، شرح: عمر فاروق الطّبّاع، ص72.

[29] - نفسه، ص40.

[30] - نفسه، ص93.

[31] - نفسه، ص66.

[32] - نفسه، ص58.

[33] - ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت. مادّة (رثى).

[34] - ديوان الشّافعيّ، مراجعة: إحسان عبّاس، ص53.

[35] - الأحزاب: 56.

[36] - السّعدي، عبد الرّحمن: تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان تحقيق: عبد الرّحمن بن معلّا اللّويحق، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ص639.

[37] - ديوان الشّافعيّ، شرح: عمر فاروق الطّبّاع، ص81.

[38] - يُنظر: النّوويّ: رياض الصّالحين، تحقيق محمود بن الجميل، دار الإمام مالك، الجزائر، ط2، 1424هـ/2004م، باب إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم، ص.ص 126-127.

[39] - ديوان الشّافعيّ، شرح: عمر فاروق الطّبّاع، ص58.

[40] - ديوان الشّافعيّ، مراجعة: إحسان عبّاس، ص74.

[41] - ديوان الشّافعيّ، شرح: عمر فاروق الطّبّاع، ص.ص79-80.

[42] - نفسه، ص.ص88-89.

[43] - الشّعر والشّعراء، تحقيق أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.س، 75/1.

[44] - ياقوت الحمويّ: مرجع سابق، 2406/6.

[45] - ديوان الشّافعيّ، شرح: عمر فاروق الطّبّاع، ص44.

[46] - نفسه، ص87.

[47] - ياقوت الحمويّ: مرجع سابق، 2405/6-2406.

[48] - ديوان الشّافعيّ، شرح: عمر فاروق الطّبّاع، ص65.

[49] - نفسه، ص69.

[50] - نفسه، ص65.

[51] - الإنسان: 30.

[52] - الملك: 14.

[53] - هود: 105.

[54] - الطّور: بعض الآية 21.

[55] - ديوان الشّافعيّ، جمع وتحقيق ودراسة: مجاهد مصطفى بهجت، دار القلم، دمشق، ط1، 1420هـ/1999م، ص38.

[56] - البخاري، محمّد بن إسماعيل: الجامع الصّحيح، تحقيق: محبّ الدّين الخطيب وآخران، المطبعة السّلفية، القاهرة، د.ط، د.ت، الحديث: 52.

[57] - ابن ماجة: سنن ابن ماجة، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرّياض، ط1، د.ت، الحديث 4241.

[58] - أبو داود السّجستانيّ: سنن أبي داود، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرّياض، ط2، د.ت. الحديث 4343.

[59] - صحيح البخاري، الحديث 01.

[60] - ديوان الشّافعيّ، تحقيق: مجاهد مصطفى بهجت، ص.ص38-39.

[61] - نفسه، ص39.

[62] - عزّ الدّين إسماعيل: في الأدب العبّاسيّ، دار النّهضة العربيّة، بيروت، د.ط، 1975م، ص420.

[63] - ديوان الشّافعيّ، تحقيق: مجاهد مصطفى بهجت، ص40.

[64] - نفسه، ص39.

[65] - الجاحظ: البيان والتّبيين، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، 207/1.

[66] - ديوان الشّافعيّ، مراجعة: إحسان عبّاس، ص47.

[67] - محمّد عويد الطّربولي: الأعمى التّطيلي شاعر عصر المرابطين، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ط1، 1426هـ/2005م، ص117. نقلا عن: يوسف حسين بكّار: بناء القصيدة في النّقد العربيّ القديم، دار الأندلس، بيروت، 1983، ص244-245.

[68] - عزّ الدّين إسماعيل، في الأدب العبّاسيّ، ص418.

[69] - نفسه، ص.ص423-424.

[70] - نفسه، ص425.

[71] - البيهقي: مناقب الشّافعيّ، 51/2.

[72] - نفسه، 43/2.

[73] - نفسه، 43/2.

[74] - نفسه، 49/2.

[75] - ديوان الشّافعيّ، مراجعة: إحسان عبّاس، ص47.

[76] - ديوان الشّافعيّ، شرح: عمر فاروق الطّبّاع، ص 55.

[77] - ديوان الشّافعيّ، مراجعة: إحسان عبّاس، ص48.

[78] - نفسه، ص60.

[79] - وهو «أن يُذكر متعدّد، ثمّ يُذكر ما لكلّ من أفراده شائعا من غير تعيين؛ اعتمادا على تصرّف السّامع في تمييز ما لكلّ واحد منهما، وردّه إلى ما هو له»، ينظر: السّيّد أحمد الهاشميّ: جواهر البلاغة، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط2، 1427هـ/2006م، ص299.

[80] - ديوان الشّافعيّ، مجاهد مصطفى بهجت، ص47.

[*] في هذين البيتين إقواء، والإقواء اختلاف حركة الرّويّ.

[81] - ديوان الشّافعيّ، مراجعة: إحسان عبّاس، ص43.

[82] - ديوان الشّافعيّ، مجاهد مصطفى بهجت، ص54.

[83] - نفسه، ص49.

[84] - نفسه، ص41.

[85] - نفسه، ص41.

[86] - نفسه، ص41.

[87] - نفسه، ص41.

[88] - نفسه، ص42.

[89] - نفسه، ص42.

[90] - نفسه، ص38.

[91] - ديوان الشّافعيّ، مرجعة: إحسان عبّاس، ص40.

[92] - سعيدي أبو بكر: في اللّغة والأدب العربيّ (للسّنة الثّانية ثانوي)، دار الحديث للكتاب، الجزائر، ط1، 2007، ص97.

[93] - ديوان الشّافعيّ، مراجعة: إحسان عبّاس، ص45.